المسافة ودورها في الاتصال اللغوي

يحيى علي أحمد*

* حصل على الدكتوراه في علم اللغة العام، عام ١٩٧٩ من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية - جامعة لندن.
يعمل حاليا في قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الكويت.

الملخص

يتطرق هذا البحث لعنصر من عناصر الاتصال اللغوي في جانبه غير اللفظي وهو عنصر المسافة. ويبدأ البحث بمفهوم المنطقة الحدودية ثم ينطلق من ذلك ليقدم تعريفا واضحا للمسافة، كما أنه يبين درجاتها وأنواعها. ثم يعرج على ذكر أثر العادات والتقاليد في تحديد المسافة بين المتحاورين. ويبرز الإسهام الأساسي للبحث وإضافته المبتكرة حينما يتوقف عند قضية جوهرية ألا وهي مفهوم المسافة عند العرب، فيناقشها مناقشة مسهبة، ويستعين الباحث في مناقشته ببعض الجوانب العامة من تعاليم الدين الإسلامي وبالواقع اللغوي وبالممارسات القانونية المطبقة في محاكم دولة الكويت، ويعضد كل ذلك بنتائج البحث الميداني الذي أجراه على ١٢٢ عربياً من الذكور والإناث. ويخلص الباحث إلى أن لدى العربي إحساساً عميقاً بمفهوم المسافة، وأن هذا المفهوم مستقر في وجدانه، وهو يوظفه بوعي أو بغير وعي، طبقاً للظروف وسياق الأحداث، للتوصل إلى أهداف وغايات.

تمهيد

يعتبر استخدام اللغة وسيلة للاتصال أهم وظيفة من وظائف اللغة الإنسانية. ونحن حينما نقول إن اللغة وسيلة اتصال فإن هذا التعبير في الواقع يختصر جميع وظائف اللغة ويكاد يكون محدداً لطبيعة اللغة عند الإنسان. والمقصود بالاتصال هو استخدام اللغة بقصد ووعي لنقل المعلومات والخواطر والمشاعر إلخ. ويتم ذلك وفق أنماط متعارف عليها في البيئة الثقافية التي تستعمل اللغة. وتبرز هذه الأنماط لأن هناك واقعاً مفروضاً على أفراد المجتمع مهما تعددت خلفياتهم الاجتماعية أو تناقضت أهدافهم، وهذا الواقع يتمثل في وجود علاقات بينهم وتبادل للمنافع بدرجات متفاوتة. وحتمية العلاقة بين أفراد المجتمع تتطلب استخدام وسيلة اتصال محدودة المعالم. أضف إلى ذلك أن الإنسان كائن ذكي وقادر على التجريد، فبإمكانه استخلاص «النمط» أو القاعدة من النماذج المتشابهة المتكررة أو من ردود الفعل الناشئة عن المتغيرات المختلفة. وسنجد في حديثنا عن المسافة كيف أن مجموعة من أفراد المجتمع العربي في الكويت كويتيين وغير كويتيين يجمعون على أن لها مغزى معينا في الاتصال.

إن الحديث عن الاتصال الإنساني يفضي إلى الحديث عن أركان عناصر هذا الاتصال. ولاشك أن هناك في البداية ركني العملية اللذين يبدآنها متى ما شاءا وينهيانها كذلك متى ما شاءا، والمقصود بهما: المتكلم والمستمع. وقد تتعدد التسميات التي تطلق في الدراسات العربية المعاصرة على هذين العنصرين[1]، وقد تعطي دلالة معينة لمصطلح بعينه وخاصة في مباحث الأسلوبية، ولكن المعنى العام في عملية الاتصال اللغوي أن المتكلم هو الشخص الذي يصدر منه الكلام، أو الذي يبدأ الحوار. أما المستمع فهو المعني بالكلام، حيث إن المتكلم يوجه إليه الخطاب. وقد يظل المستمع مجرد مستمع في بعض الظروف التي تملي عليه حسن الاستماع، كالاستماع إلى خطبة دينية أو الاستماع إلى محاضرة عامة أو إرشادات رسمية. ولكن متى ما طلب من المستمع المشاركة في الحديث اللغوي بتوجيه سؤال إليه، أو في الحوار اليومي العادي، فإن المستمع يتحول إلى متكلم. وهكذا

فإن هذين العنصرين يتبادلان المراكز، وهذا مما يجعل عملية الاتصال اللغوي ممكنة في مثل هذه الأحوال.

ويأتي بعد ذلك العنصر الثالث من عناصر الاتصال وهو اللغة. واللغة هي الوسيلة النموذجية للتواصل، وتتخذ عند الإنسان شكلاً معقداً، ولكن الذي يعنينا في سياق هذا البحث أن للغة كما يستخدمها الإنسان وسيلة للاتصال مظهرين واضحين: المظهر الأول ويتمثل في الجانب الصوتي أو اللفظي وهو عبارة عن الأصوات المنطوقة التي تتكون منها كلمات وجمل، أو الكلمات المكتوبة. والمظهر الثاني يتمثل في الحركات والإشارات التي تأتي بمفردها أو تكون مصاحبة للحدث اللغوي. ولذلك فإن هذا المظهر يسمى في الدراسات اللغوية «الاتصال غير اللفظي» non - verbal communication، «ويستخدم هذا المصطلح في استعماله العام للإشارة إلى كل الطرق التي يتم بها الاتصال ما بين الأشخاص حينما يكونون في حضرة بعضهم، باستخدام وسائل لاتتضمن كلمات»[٢]. ومن الوسائل غير اللفظية التي يمكن أن توظف في الاتصال اللغوي حركة اليدين والكتفين وتعابير الوجه والحدج بالبصر أو طريقة النظر gaze والمسافة ووضع الجسم posture. وهذه الوسائل تستخدم في حالات وظروف معينة لامجال لذكرها هنا، حيث إن ذلك سيخرج بنا عن هدف البحث. ومن الأهمية أن ندرك أن هذه الوسائل وغيرها ليست بديلاً عن اللغة في جانبها اللفظي، ولكنها وسيلة تعبير نلجأ إليها في مناسبات خاصة، وينعكس ذلك في تعبيرات كثيرة نستخدمها. ومن هذه التعبيرات: لغة العيون، لغة الإشارة، لغة العنف، لغة الجسد.

إذن هناك نمط من الاتصال نستخدم فيه وسائل تعبير لانتلفظ بها على سبيل القول بل نمارسها على سبيل الفعل أو الحركة. هذه الوسائل تعتبر أيضاً لغة، ولكنها لغة صامتة. ومن الأمور التي تندرج تحت هذه اللغة الصامتة المسافة التي يبقيها المتكلم بينه وبين المستمع. وتلعب المسافة دوراً خطيراً في عملية الاتصال اللغوي، فهي تساهم مساهمة فعالة في نقل المشاعر والإيحاءات الخاصة، ويكفي استدلالا على ذلك أن قرب المسافة يتيح الفرصة للاقتراب الجسدي واللمس.

ونحن لدينا حساسية مفرطة تجاه تقارب المسافة، خاصة عندما لايكون المتحاوران من الجنس نفسه.

وسأتناول في بحثي هذا موضوع المسافة ومالها من علاقة مباشرة بالاتصال اللغوي، ولذلك فانني لم أتطرق لاستخدامات المسافة في مجالات أخرى مثل الهندسة المعمارية وتنسيق الأحياء السكنية والحدائق وتصميم البيوت والحارات بشكل يوفر الجمال الهندسي من ناحية، والأمن السياسي والاجتماعي من ناحية أخرى، لأن مثل هذه الأمور لاتدخل في صلب موضوع البحث.

المسافة ومفهومها

تعد المسافة وسيلة من وسائل الاتصال غير اللفظي التي ينبغي أن ندرسها ضمن السياق الاجتماعي الذي يستعمل فيه هذا المفهوم، حيث إن مدلول المسافة يتأثر تأثراً بالغاً بظروف الاستعمال وبالعوامل الأخرى التي سأذكرها فيما بعد. أما من حيث المعنى فإن مصطلح المسافة يعني شيئين[٣]: المنطقة الحدودية Territory للكائن الحي، وكثيراً ما يستعمل هذا المعنى عند الإشارة إلى سلوك الحيوانات، حيث إن لكل حيوان منطقة حدودية يرعى ضمنها ويدفع الغرباء عنها، وإذا اخترقنا هذه المنطقة وواصلنا السير تجاه الحيوان فإن الحيوان إما أن يقوم بمهاجمتنا أو الهرب منا[٤]. كما تعني المسافة كذلك «المساحة الشخصية» Personal distance أو المسافة الشخصية وهي الحيز أو الفراغ الذي يبقيه المتكلم بينه وبين المستمع في ظروف الاتصال المختلفة. وانطلاقا من هذا التصور فإننا نجد بين المعنيين اختلافات طفيفة تتمثل فيما يلي:[٥]

١ - حدود المسافة الشخصية غير ظاهرة للعيان invisible بينما المنطقة الحدودية واضحة المعالم، حيث يلجأ الحيوان إلى تحديدها تحديداً واضحاً بوسائل مختلفة منها إفراز رائحة خاصة أو التبول. ويلجأ الإنسان إلى تحديدها ببناء الأسوار وإقامة الحواجز وتثبيت أشياء مادية[٦]. وقد ورد في الأغاني (٥ : ٣٤) أن كليب بن ربيعة «كان قد عز وساد في ربيعة فبغى بغياً شديداً، وكان هو الذي ينزلهم منازلهم ويرحلهم، ولاينزلون ولايرحلون إلا بأمره». وكان

يلجأ إلى تحديد المنطقة التي تخضع لسيادته ونفوذه عن طريق كلبه الذي كان يرسله إذا ما نزل أرضا ليسرح وينبح. فحيثما سمع نباحه فهو خاضع لسيطرته، ولا يسمح لأحد بالرعي فيه أو النزول فيه. وتنتهي المنطقة الحدودية حيث ينتهي نباح الكلب، أي لايكون مسموعاً بالنسبة له. ولذلك ضرب به المثل فقيل: أعز من كليب وائل.

٢ - تتحرك المسافة الشخصية مع حركة الفرد، وهي بهذا تكاد تشبه صدفة الحلزون، حيث إن الصدفة تتحرك بتحرك الحلزون نفسه. وبذلك فإن المسافة الشخصية تختلف عن المنطقة الحدودية للحيوانات أو الإنسان والتي تتسم بالثبات أو التغير الموسمي فقط.

٣ - يشكل جسم الإنسان مركز المسافة الشخصية، بينما مركز المنطقة الحدودية هو المنزل أو الحيوان أو طاولة الأكل أو قاعة المحاضرات إلخ.

ويتضح من هذه المقارنة أن «المنطقة الحدودية» ليست خاصة بالحيوانات، فالإحساس بالحدود موجود عند الإنسان كذلك. وقد يبرز هذا الإحساس عند البعض بفعل العادات والتقاليد.

ويلاحظ يوليوس فاست أننا نقيم مناطقنا الحدودية حتى في أصغر المساحات، كطاولة الأكل مثلا. فإذا ذهبت مع صديقك إلى مطعم وجلستما إلى طاولة وجها لوجه، فسيقوم كل واحد منكما بالتعامل مع منطقته الخاصة، بحيث إن الصديق سيشعر بالضيق أو عدم الارتياح لو أنك أعدت ترتيب الشوك والسكاكين والصحون ودخلت في منطقته الحدودية[٧].

وكذلك يلاحظ هول أن المرء يؤسس منطقته الحدودية بسرعة. ففي قاعة المحاضرات مثلا نجد أن الطالب يألف مكاناً بعينه بعد مضي محاضرتين أو ثلاث، ونجده لذلك يعاود الجلوس في نفس المكان في كل مرة[٨].

ويبدو أن المنطقة الحدودية لاتقتصر على الأشياء التي يمتلكها الشخص بل إن المنطقة الحدودية سرعان ما تتأسس في الأماكن التي يرتادها الشخص بانتظام. وهذا ما يفسر في نظري سبب إقدام بعض التلاميذ على حفر أسمائهم على مقاعدهم الدراسية أو الكتابة عليها، فإن في ذلك نوعاً من تأكيد الحدودية

Territoriality. وقد أظهرت دراسة عن أماكن الجلوس في المكتبات العامة كيف أنه بالإمكان تحديد منطقة الجلوس، فترك كتاب أو شيء شخصي على الطاولة يحجز ذلك المكان لمدة تقرب من سبع وسبعين دقيقة. وترك المعطف فوق كرسي الطاولة يحجز المكان لمدة ساعتين تقريبا[٩].

إن ما يهمنا في النهاية في موضوع المنطقة الحدودية هو أنها تشكل النقطة التي منها يقرر المتكلم بدء المسافة. وقد تختلف المنطقة الحدودية تبعاً لأهمية الشخص ومركزه الاجتماعي: فقد يجعل القاضي لنفسه منطقة حدودية تختلف عن منطقة حاجب المحكمة. والأستاذ الجامعي قد يجعل منطقته الحدودية تمتد لحد أبعد من منطقة الفراش. ويترتب على ذلك أن الفراش قد يسمح للطلبة أو زملاء المهنة بدرجات تقارب يتضايق الأستاذ الجامعي من مثلها لو حدثت له، أو ربما لايسمح بها إطلاقاً.

أنواع المسافة

وقد اهتم الدكتور إدوارد هول Hall بموضوع المسافة منذ فترة طويلة، ودرس كيفية توظيف الإنسان لها في الاتصال اللغوي، وما يتعلق بذلك من ردود الفعل الناشئة عن خرق المساحة الفراغية المحيطة به، وقد كتب في ذلك عدة مؤلفات رائدة وهو الذي ابتدع مصطلح Proxemics أي «التقاربية» وهي الترجمة التي نقترحها لهذا المصطلح، ويتضح من استعماله لهذا المصطلح أن التقاربية تعني المسافة الشخصية أو المنطقة الحدودية التي نتحرك داخلها، فإذا ضاقت المنطقة الحدودية بين المتكلم والمستمع فإن المسافة عندئذ تكون قريبة. وإذا اتسعت المنطقة كانت المسافة بعيدة. ونحن في حياتنا العملية لدينا إحساس ووعي بقرب المسافة وبعدها، ونستغل هذا الوعي الداخلي لأغراض اتصالية متعددة.

وقد حدد هول[١٠] أربع مناطق ذات دلالة في الاتصال اللغوي، صنفها على النحو التالي[١١]:

١ - مسافة حميمة Intimate distance.

٢ - مسافة شخصية Personal distance.

٣ - المسافة الاجتماعية Social distance .

٤ - المسافة العامة Public distance .

وسوف نفحص فيما يلي هذه الأنواع من المسافات بشيء من التفصيل، لكي نجيب عن السؤال التالي: متى وكيف نستعمل هذه المسافات؟

المسافة الحميمة تكون مابين ١٥ ـ ٤٥ سم أو ٦ ـ ١٨ بوصة وهي المسافة التي يحافظ عليها الإنسان على أنها جزء من خصوصياته. وهي قريبة جدا وتسمح بالضم ووضع اليد حول عنق الشخص الآخر أو التربيت على الفخذ أو مسك اليد. لذلك فإن هذه المسافة تكون في مجال العلاقة العائلية غالباً، ولايسمح الإنسان بدخول هذه المسافة إلا لمن يرتبطون به بصلة عاطفية (الزوجان، الخطيبان، الأولاد، الأقارب). وقد نجدها في مجتمعنا الشرقي بين الأصدقاء. وقد يتم خرق المسافة الحميمة في الأماكن المزدحمة، ونحن نتقبل ذلك على أنه جزء من المشكلة. ويلاحظ يوليوس فاست أننا حينما نلتقي بالغرباء في مصعد أو قطار مكتظ فإننا نشد عضلاتنا وخاصة في أماكن التماس، لكي نتجنب الاحتكاك أو الملامسة والإحساس بحرارة جسم الآخر. ويعد تراخي العضلات في مثل هذه الحالات عيباً اجتماعياً[١٢].

المسافة الشخصية، ويقسمها هول إلى قسمين: مسافة شخصية قريبة ومسافة شخصية بعيدة. منطقة المسافة الأولى ما بين ١,٥ إلى ٢ قدم، وهي مسافة تسمح باللمس والمسك ويقول هول عن هذه المسافة إنها المسافة المريحة والمناسبة في حفلات التعارف. والفرق بين هذه المسافة والمسافة الحميمة هو أن المسافة الحميمة تقترن بالجانب العاطفي.

أما المسافة الشخصية البعيدة فيقدرها هول مابين ٢,٥ إلى ٤ أقدام وهذه المسافة لا تمكن من اللمس، ولكنها مع ذلك توفر شيئا من الخصوصية، وحينما يلتقي شخصان في الطريق فإنهما يقفان على هذه المسافة.

المسافة الاجتماعية، وفيها أيضاً مرحلتان، مسافة قريبة ومسافة بعيدة. القريبة منها من ٤ إلى ٧ أقدام، وهي المسافة التي نقفها حينما نجري معاملاتنا

المالية، وبالنسبة للمجتمع الغربي فإن هذه المسافة هي المسافة التي تتخذها ربة البيت بينها وبين العامل الذي يدخل منزلها لإصلاح عطل ما، كالسباك والكهربائي وغيرهما.

كما أن هذه المسافة هي التي نجعلها نحن - في المجتمع الكويتي - بيننا وبين البقال والمحاسب في الجمعية التعاونية حيث يشكل النضد وصندوق الدفع حواجز طبيعية بيننا في هذه الحالة.

الجزء البعيد من المسافة الاجتماعية يكون حسب تقدير هول مابين ٧ إلى ١٢ قدما. وهذه المسافة تتخذ في المناسبات الاجتماعية الرسمية وفي إجراء الصفقات التجارية. ويلاحظ فاست أنه عندما يتم التحاور ضمن هذه المسافة فإن العرف الاجتماعي يقتضي أن يصوب المتكلم عينية إلى عيني المستمع أثناء الحوار. وقد يوحي عدم النظر بهذه الكيفية أن المتكلم يستبعد المستمع من الحوار. ويضيف فاست أن الزوج والزوجة يتخذان المسافة الاجتماعية البعيدة في المنزل بهدف الاسترخاء(١٣).

المسافة العامة وفيها أيضا نمطان: قريب وبعيد. فالنمط القريب من المسافة العامة يكون مابين ١٢ إلى ٢٠ قدما. وهذه المسافة تكون مناسبة للاجتماعات الرسمية. والنمط البعيد من هذا النوع من المسافة يكون ٢٥ قدماً أو أكثر. ويتخذ السياسيون هذا النمط من المسافة بينهم وبين الجمهور لأسباب أمنية.

العوامل المؤثرة في المسافة

ماهي المسافة التي يفضل المتكلم أن يتركها بينه وبين المستمع؟ بالطبع هناك مسافة معينة يجب أن يكون طرفا عملية الاتصال اللغوي ضمنها إذا ما أرادا للحوار أن يستمر أو يكون ممكنا. ولكن هذه المسافة ليست ثابتة أو واحدة في جميع الأحوال فهناك ظروف وعوامل تتحكم في المسافة، أذكرها مجملة فيما يلي:

١ - **طبيعة الموضوعات**. حينما يتم تبادل الحوار حول موضوعات عامة كالحديث عن الجو أو آخر الأخبار أو عن موضوع محاضرة فإن المسافة المتخذة هي تلك التي تمكن الطرفين من سماع بعضهما بوضوح ويسر. أما حينما يكون

الموضوع شخصياً أو يريد المتكلم أن يسر بشيء إلى المستمع فإن المتكلم يدنو نحو المستمع، ونجد أن المسافة بين المتحاورين قريبة جدا.

٢ - **طبيعة المكان**. في الأحداث الكلامية الرسمية، كالجلوس في مسجد والاستماع إلى خطبة، أو الجلوس في قاعة المحاضرات والاستماع إلى محاضرة تكون المسافة محكومة بطبيعة المكان وجدية الموضوعات المطروحة. أما في الممرات الضيقة أو المصاعد والحافلات المزدحمة فنحن نتعلم كيف نتعامل مع مسافة قصيرة جدا خاصة إذا كان الطرف الآخر لايمت لنا بصلة قرابة أو لا نرتبط به بعلاقة صداقة. وفي المجتمع العربي، حيث تسود القيم والتقاليد الإسلامية والعربية، نجد أن الرجل والمرأة يراعيان عدم الدخول في منطقة المسافة الحميمة في الأماكن العامة. وهناك نمط من المسافة القريبة جدا يسود في بعض المجتمعات العربية في الأماكن العامة ويتمثل في أن يجعل الرجل ساعده المثني بمثابة حلقة لساعد زوجته المثني أيضاً، وذلك أثناء السير. وهذه العادة تعلن أن هذه المرأة في عصمة الرجل أو في حمايته. وفي حالة كبار السن فإن هذا النمط من مسك الأيدي ينم عن العطف واعتماد ذلك الإنسان المسن على شخص آخر في تدبير بعض أموره.

وقد أجرى روبرت سومر تجربة حول مكان جلوس كل من المتكلم والمستمع. ونألفت التجربة من ٣٨ ذكرا و١٤٤ أنثى. كان القائم بالتجربة يدخل كل شخصين من نفس الجنس إلى غرفة جلوس فاخرة ويطلب منهما مناقشة أسس تطوير أجنحة المرضى في مستشفى للطب النفسي (حيث كان عناصر التجربة يشتغلون هناك). وقد وجد سومر أنه حينما تكون الأريكتان متباعدتين على مسافة أقل من ٣ أقدام ونصف القدم فإن المتحاورين كانا يجلسان متواجهين كل واحد منهما على أريكة منفصلة . ولكن إذا كانت المسافة أكثر من ذلك، فإن المتحاورين يجلسان على أريكة واحدة جنبا إلى جنب[١٤]. وهنا نجد كيف أن ظروف المكان تتدخل في تحديد المسافة بين المتحاورين، حيث إن الجلوس وجهاً لوجه على أريكتين متباعدتين لايوفر بيئة مريحة لتداول الحديث. وقد جرب سومر

٢٥ وضعاً مختلفاً لترتيب الأرائك. ونجم عن ذلك جدول مفصل أورده الكاتب في الصفحة ١١٤ من بحثه المشار إليه، فليرجع إليه من شاء المزيد من الاطلاع. والنتيجة التي انتهى إليها سومر بعد تحليل الإحصائيات هي أن الناس يميلون عموماً إلى الجلوس متقابلين إلا في حالتين:

أ - حينما تكون المسافة الفاصلة بين الجالسين متقابلين وجهاً لوجه بعيدة جدا بحيث لا يمكن أن يأخذ الحوار المريح مجراه.

ب - عندما تزيد المسافة الفاصلة بين الجالسين متقابلين عن المسافة الفاصلة بين الجالسين جنبا إلى جنب (تجاوز مسافة الجلوس المتقابل عن المسافة الجانبية).

ولكن يبدو أن هذه الملاحظات تتعلق بالجلوس الذي يخلو من وجود أي عائق. ذلك أن وجود عائق طبيعي، كطاولة أو سيارة، يتحكم في المسافة بأشكال مختلفة. وقد جرب سومر [١٥] نمطاً من ترتيب الكراسي مع وجود طاولة على نحو ما يظهر في الشكل التالي:

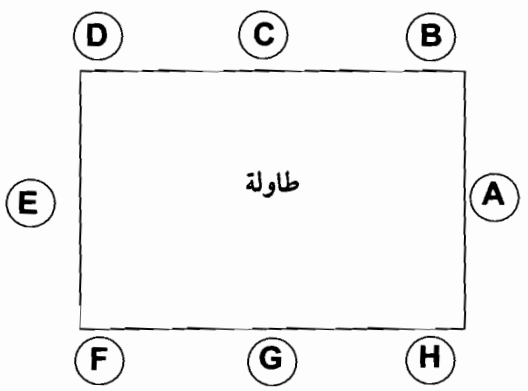

وأظهرت الملاحظة أن الشخصين اللذين يختاران الجلوس عند الزوايا (A-B أو A-H أو E-D أو E-F) لديهما الفرصة والرغبة للتحاور أكثر مما لدى الجالسين في الأوضاع الأخرى. ولذلك فقد كانت الأرقام على النحو التالي:

نمط ترتيب الكراسي	عدد الأزواج في هذا الترتيب
ركن لركن	٣٠ زوجا من الأفراد
جنبا إلى جنب	١٦ زوجا من الأفراد
وجها لوجه	٥ أزواج

وقد أجريت أنا دراسة مصغرة على ٤٢ عضو هيئة تدريس في جامعة الكويت (جميعهم من كلية الآداب) بشأن المسافة التي يتخذونها بينهم وبين الطلبة في قاعة المحاضرات. وقد تألفت التجربة من شكل أعقبته مجموعة من أسئلة الاختيار المتعدد. وكان الشكل كما يلي:

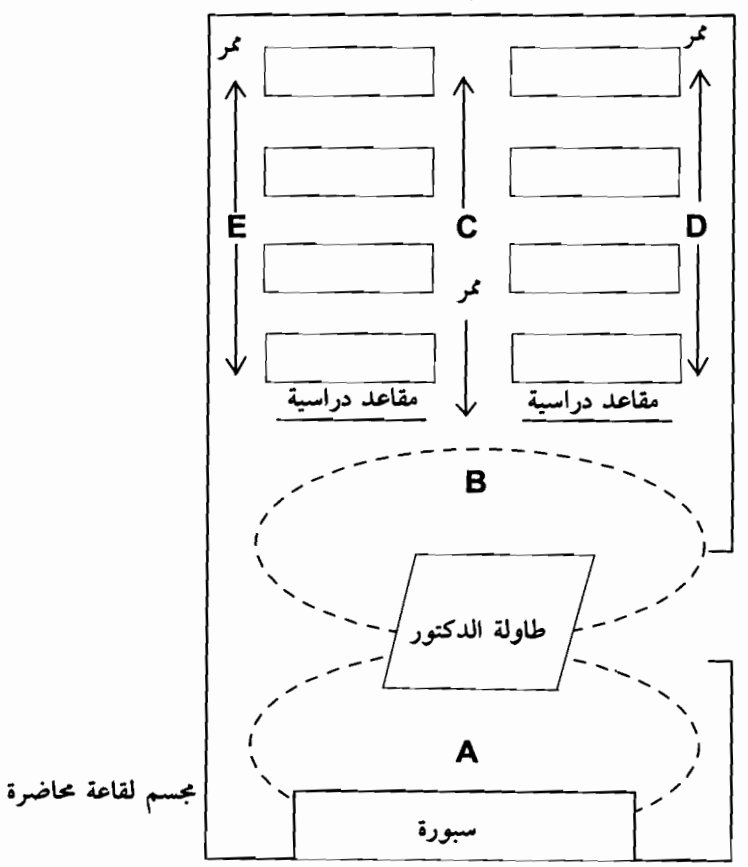

وبتحليل الإجابات ظهر أن ٢٠ عضو هيئة تدريس يجلسون دائماً أثناء المحاضرة وأن ١٢ عضوا يقفون دائما أثناء المحاضرة وأن ١٠ منهم يجلسون ويقفون ليكتبوا شيئاً على السبورة ثم يعاودون الجلوس. والذي يهمنا من هذه التجربة في سياق بحثنا هذا هو أن المحاضرين الذين يقفون أثناء المحاضرة يكون مكان وقوفهم في المنطقة A، وعندئذ تشكل الطاولة حاجزاً طبيعياً في المساحة، وهي أيضاً تساهم في تحديد المنطقة الحدودية لعضو هيئة التدريس. وقد أجاب محاضر واحد بأنه يتجول في المنطقة B أحيانا أثناء المحاضرة وعلل بأن طبيعة المحاضرة تقتضي ذلك. واتفق الجميع على أنهم لايتجولون في المناطق E, C, D أثناء المحاضرة.

وقد سمعت من أستاذي الدكتور ديفيد بنيت Benette (أستاذ علم اللغة العام في معهد الدراسات الشرقية ـ جامعة لندن) أن الطلبة الصينيين لايحبون أن يكون المحاضر أمام طاولته ثم يستند على كوعه بحيث يتحدث إليهم وهو في وضع مائل، أو يتحدث وهو جالس على طاولته يؤرجح رجليه أثناء المحاضرة، فكلا النوعين من السلوك مستهجن عند الطلبة الصينيين(١٦).

٣ - **نوعية العلاقة بين المتحاورين**. هذا عامل آخر يؤثر تأثيراً ملموساً في بعد المسافة أو قربها. فالمسافة تزداد قرباً تبعاً لدرجة المعرفة أو القرابة بين المتكلم والمستمع. وقد حدد كينيث ليتل ثلاث فئات مؤثرة في المسافة هي: القريب، الصديق، الغريب. ثم ينتهي إلى ملاحظة مفادها أن المسافة تكون أبعد ما تكون حينما يتم الحوار بين الغرباء في المكتب. وتكون أقرب ما تكون حينما يتم الحوار بين الأصدقاء في زاوية الشارع(١٧). وأنا أضيف إلى هذه الفئات الثلاث عنصر الجنس أو النوع. فالرجل يبقي مسافة بينه وبين المرأة أكبر من تلك التي يبقيها بينه وبين رجل آخر. وحينما تكون العلاقة وطيدة بين المتكلم والمستمع بحيث إنهما ينتميان إلى فئة الأقارب أو الأصدقاء فإن المسافة الشخصية القريبة تتيح الفرصة للتربيت على الكتف أو الفخذ أو مسك اليد أو دفع الساعد. وتكون هذه الحركات ما بين أفراد الجنس الواحد، وقلما نجدها مابين شخصين مختلفي الجنس، أي بين الذكر

والأنثى في الحديث العادي، وقد نجدها في المناسبات الخاصة وبين فئة الأصدقاء والأقارب.

٤ - **العادات الشخصية**. كما أن في اللغة في جانبها الصوتي ملامح فردية تتمثل في اللكنة الشخصية Accent وسرعة النطق أو بطئه tempo واستعمال بعض اللوازم اللغوية بصفة متكررة، فإن هناك جانباً فردياً في المسافة هو نتاج العادات الشخصية. فبعض الناس يميلون إلى الصرامة والجدية، وهؤلاء قلما يتخذون المسافة القريبة. وهناك أناس آخرون يميلون إلى الانفتاح والبساطة، ويغلب عليهم طابع التفكه والمرح والتبسط في الحديث. ومن عادة هؤلاء أن يقتربوا كثيرا من محدثهم، ونجدهم يلجأون كثيراً إلى اللمس ومسك اليد. وهؤلاء يمارسون - أكثر من غيرهم - نمط «المصافحة الفرقعية»، وهي المصافحة التي يهوي فيها المصافح بيده على يد المصافح محدثاً صوتاً عالياً يشبه صوت التصفيق. ولتأكد صدور الفرقعة أثناء هذا النمط من المصافحة فإن هناك إجراء مألوفاً وهو أن يمسك المصافح بيساره يمين المصافح ثم يجعل يمناه تهوي بقوة على يمين المصافح. ويتم كل ذلك من خلال أسارير منبسطة ووجه متهلل. وبذلك يتضح لنا أن العادة الشخصية هي من العوامل التي تلعب دوراً في تحديد المسافة بين المتكلم والمستمع.

٥ - **السياق**. وهو يساعدنا كثيراً في استخدام المسافة وفهم دلالاتها في كل حالة. ففي سياق تقديم العزاء نعرف أن المسافة يجب أن تكون قريبة لنتمكن من المصافحة أو ربما تقبيل المعزي، أما حينما نصادف زملاء المهنة يوميا في الممر أو في غرفة الاستراحة فقد نكتفي بإلقاء التحية وتبادل العبارات الودية ضمن المسافة الاجتماعية. وإذا التقى رجل بامرأة في مكان عام فإنه يبقي بينه وبينها مسافة، كما أسلفنا، ولكن هذه المسافة ستكون محكومة بطبيعة العلاقة بينهما وبموضوع الحديث. أي أن جزءاً من موضوع المسافة سيترك تحديده إلى السياق، وأما الجزء الآخر فقد تم تحديده سلفاً عن طريق العادات والتقاليد.

ولاشك أن كليهما يدرك مغزى الاقتراب الجسدي واللمس. والواقع أن مستعملي اللغة جميعهم يدركون هذا المغزى بحكم انتمائهم إلى بيئة اجتماعية واحدة وخضوعهم لمجموعة غرائز ودوافع. فإذا اقترب منا شخص لانعرفه وكان ذلك في سياق الاستفهام منا عن شيء، وكانت أسارير الوجه منبسطة والوضع الجسماني يدل على التوجه السلمي، فربما لم يسبب لنا ذلك الاقتراب قلقاً. أما الاقتراب الذي يتم في ظروف الغضب وهيجان الأعصاب فإنه يعني لنا شيئاً آخر. والملاحظ أن اللمس كذلك مختلف في الحالتين. فاللمس في حالة التبسط والضحك أو إلقاء النكتة على الصديق يكون رقيقا وموائماً للسياق. أما اللمس الذي يقترن بتبادل عبارات التهديد أو الشتم فإنه يكون قوياً وعنيفاً، وربما يبدأ العراك به.

كيف تتعامل المجتمعات المختلفة مع المسافة؟

تتعدد الطرق التي يتعامل بها مختلف الشعوب مع المسافة. يقول هول: «حينما يسافر المرء إلى الخارج ويتفحص الطرق التي تعامل بها المسافة، فإنه سيكتشف اختلافات مدهشة، اختلافات تكون ردود فعلنا تجاهها قوية»[١٨].

ولاشك أن اختلاف القيم والعادات والتقاليد يؤثر في تصرفاتنا وسلوكنا، واللغة تعتبر جانبا رئيسيا من سلوكنا، ولذلك نجد أن القيم الاجتماعية وأفكار الناس وأحاسيسهم وسلوكهم الاجتماعي، تنعكس كلها على اللغة بكافة مستوياتها. ومن مظاهر اختلاف الشعوب في نظرتهم إلى المسافة أن المجتمع الياباني - كما يذكر فاست نقلا عن هول - يميل إلى التجمع والاكتظاظ في بعض الظروف حيث يعتبرون التجمع رمزاً للمحبة اللطيفة[١٩].

وينقل فاست ملاحظة مثيرة عن دونالد كين Keene الذي كتب عن اليابان كتاباً متخصصاً، وهذه الملاحظة مفادها أن اللغة اليابانية لاتوجد فيها كلمة «خصوصية» Privacy. ويستطرد فاست قائلاً: وليس معنى ذلك أنه لايوجد مفهوم الخصوصية. فالخصوصية موجودة عند الياباني في بيته. وهو يعتبر مساحة البيت ملكاً له ويستاء من اقتحامها. وكون الياباني محباً للتجمع مع الآخرين

لاينفي حاجته للمكان الخاص أو للمساحة التي يعيش فيها[٢٠].

والعرب شأنهم شأن اليابانيين، يحبون التجمع والتقرب نحو بعضهم. ولكن على الرغم من ميلهم إلى التقارب في الأماكن العامة فإنهم في بيوتهم يتمتعون بمساحة تعتبر واسعة تقريبا. والمنازل العربية - حيث يكون ذلك ممكنا - كبيرة وخالية، وقاطنوها يتجمعون في منطقة صغيرة واحدة. وهم في العادة يتجنبون إقامة الحواجز بين الغرف. وعلى الرغم من شغف العرب بالمساحة، إلا أنهم يحبون - حتى وهم في بيوتهم الفسيحة - أن يتجمع بعضهم إلى بعض، لأنهم لايحبون أن يكونوا منفردين[٢١].

ولعل القارىء العربي سيلاحظ أن كلام هذا الكاتب فيما يتعلق بالبيوت العربية كلام عام، فليس من الواضح عن أي نمط من البيوت يتحدث وفي أي مكان من الوطن العربي، فالبيوت العربية تختلف في الحجم والتصميم تبعاً للمنطقة. ولكن يبدو أن الكاتب يطرح فكرة أن الأسرة العربية تحب التزاور، وأن ذلك يتم في إحدى الغرف في المنزل، هي غالباً غرفة المعيشة أو الاستقبال أو الديوانية (على اختلاف التسميات في هذه الحالة). وأما إشارته إلى أن العرب يتجنبون إقامة الحواجز بين الغرف فربما يكون المقصود منها عدم وجود الحاجز في الغرفة الواحدة.

وتوجد اختلافات كبيرة في مفهوم المسافة حتى بين الشعوب الأوروبية. فهناك اختلاف واضح بين الطريقة التي يتصرف بها الألماني - مثلا - تجاه مكانه الذي يعيش فيه، وبين الطريقة التي يتصرف بها الأمريكي حيال الأمر نفسه. فالأمريكي يحمل معه أينما ذهب مسافته الشخصية المحيطة به والتي مقدارها قدمان. وإذا تحدث معه صديق حول أمور شخصية فإنه يقترب معه بحيث تتداخل المسافتان الشخصيتان. أما بالنسبة للألماني فإن غرفة بأكملها في بيته الخاص يمكن أن تشكل دائرة المسافة الشخصية أو فقاعتها. فإذا شرع شخص آخر في حديث شخصي في تلك الغرفة بدون إشراكه فإن ذلك يسبب له إهانة. ويعزو الدكتور هول ذلك إلى أن «ذات الألماني» مكشوفة كشفاً واضحاً، خلافاً لواقع الذات العربية، ولذلك فالألماني مستعد لأن يسلك أية طريقة ويذهب إلى

أي مدى في سبيل المحافظة على عالمه الخاص. ففي الحرب العالمية الثانية وضع كل أربعة أسرى حرب ألمان في كوخ واحد في معسكر للجيش. ولكنهم سرعان ماقاموا بإقامة الحواجز في تلك الأكواخ لتوفير مساحة شخصية خاصة. وفي أحد المعتقلات المكشوفة، حاول السجناء الألمان أن يبنوا وحدات سكنية خاصة بهم.

هذا وربما كانت «الذات الألمانية المكشوفة» مسئولة عن جفافهم وتصلبهم وافتقارهم بشكل عام إلى الحركة الجسمية المتسمة بالعفوية. ويمكن أن يكون هذا التصلب دفاعاً أو قناعاً للحيلولة دون كشف الكثير من الحقائق بحركات غير خاضعة للمراقبة. وتنشأ البيوت في ألمانيا بشكل يسمح بأقصى درجات الخصوصية. ففناء المنزل محاط بسور أو سياج والشرفات عليها حواجز، والأبواب تكون مغلقة دائماً[٢٢].

ويتحدث هول عن مفهوم المسافة لدى شعوب أمريكا اللاتينية فيقول: «إن المسافة التي تتخذ للتحدث تعتبر أقصر في أمريكا اللاتينية مما هي عليه في الولايات المتحدة. والواقع أن الناس هناك لايستطيعون التحدث مع بعضهم براحة ما لم يكونوا متقاربين جداً بعضهم من بعض إلى حد المسافة التي تثير مشاعر جنسية أو عدائية لدى الأمريكيين الشماليين، والنتيجة أنهم حينما يقتربون أكثر فإننا ننسحب إلى الخلف. وبناء على ذلك فإنهم يعتقدون بأننا متعجرفون وباردون وانكفائيون وغير لطيفين. ونحن بدورنا نظل نتهمهم بأنهم يتنفسون من خلف رقابنا ويحاصروننا، وأنهم يرشون وجوهنا برذاذ لعابهم أثناء الحديث»[٢٣].

وأحب أن أتوقف هنا عند المقارنة التي لخصها فاست عن هول حول اختلاف مفهوم المسافة عند العرب وكل من اليابانيين والأمريكان وذلك لما لهذه المقارنة من أهمية لموضوع البحث ونتائج البحث الميداني الذي سيرد ذكره فيما بعد.

يقول فاست:[٢٤] إن الفرق عميق جداً بين تجمع العرب وتقارب اليابانيين فالعربي يحب أن يلمس رفيقه وأن يشعر به ويشمه. وإن مما يدعو إلى الخجل أن تنكر من صديق رائحة نفسه.

أما اليابانيون فإنهم يحافظون على الرسميات والابتعاد حتى في اقترابهم.

إنهم يتمكنون من اللمس ومع ذلك فهم يبقون فيما بينهم حدوداً صارمة. وأما العربي فيدفع بتلك الحدود جانباً ويتخطاها.

وإلى جانب هذا الميل للتقارب فإنه يوجد في العالم العربي ما لايروق للذوق الأمريكي ألا وهو التدافع والتشارك Sharing. فبالنسبة للأمريكي هناك حدود في الأماكن العامة.

فحينما يقف في طابور منتظراً دوره فهو يعتبر أن حرمة مكانه هناك يجب ألا تنتهك. لكن العربي لا يملك مفهوماً للخصوصية في الأماكن العامة، وإذا استطاع أن يشق طريقه ويدفع بنفسه إلى داخل الطابور، فإنه يشعر أن فعل ذلك هو حق من حقوقه.

وكما أن افتقار اليابانيين إلى كلمة «خصوصية» ينبىء عن عاطفة معينة تجاه الناس، فكذلك يدل افتقار العرب إلى كلمة «اغتصاب» rape على شعور معين تجاه الجسد. وفي نظر الأمريكي يعتبر الجسد شيئاً مقدساً ينبغي أن يحترم. أما بالنسبة للعربي الذي لا يجد غضاضة في أن يزاحم الناس ويدفعهم ولا حتى في أن يقرص النساء في الأماكن العامة، فإن انتهاك حرمة الجسد أمر هين. ولكن انتهاك الذات أو الكرامة عن طريق الإهانة يعتبر مشكلة ضخمة.

هناك جوانب كثيرة فيما ورد في هذا الاقتباس عن مفهوم المسافة لدى العرب والتي تحتاج إلى وقفة مطولة ربما لا تسمح بها طبيعة البحث الحالي. فهل صحيح مثلاً أن العربي إنسان فظ لا يحترم المسافة الشخصية للآخرين «فيشق طريقه ويدفع بنفسه إلى داخل الطابور»؟ أم أن الأمر نسبي ويعتمد على طبيعة الشخص وطبيعة المكان والغرض من الوقوف في الطابور؟ ستتعدد إجاباتنا بناء على تصوراتنا المبنية على تجاربنا الشخصية أو انطباعاتنا الأولية، ولا شك أن البحث الميداني سيساعدنا كثيراً في توضيح الحقيقة حول هذا الموضوع.

وقد أشار هول في معرض حديثه السابق إلى ميل العرب إلى الاقتراب من بعضهم أثناء الحديث. وحينما تكون المسافة قريبة فإنها تتيح الفرصة للمس. وقد لاحظت أن من العادات المألوفة عند العرب في مثل هذه الحالات التربيت على الكتف أو الفخذ (إذا كان المتحاوران جالسين)، أو وضع راحة اليد على ساعد

الآخر، أو لمس الذراع بأطراف الأصابع وغير ذلك من حركات. والملاحظ أن الذكور والإناث، على حد سواء، يقومون بمثل تلك الحركات ما بين أفراد الجنس الواحد. أي أن الحديث بين الذكر والأنثى، حتى مع وجود المعرفة والقرابة، لا يأخذ نفس النمط الذي يأخذه حديث الذكر مع الذكر أو الأنثى مع الأنثى من حيث درجة الاقتراب وممارسة اللمس والتربيت، إلا في بعض الحالات الخاصة بطبيعة الحال. وقد لاحظ كل من واطسون وغريفز[٢٥] في دراسة أجرياها على ١٦ طالبا عربيا (كلهم ذكور) من الجنسية السعودية والمصرية والعراقية والكويتية، و١٦ طالبا امريكيا (كلهم ذكور كذلك) أن العرب يواجهون بعضهم أثناء التحدث أكثر من الأمريكان. ولاحظ الباحثان كذلك أن الطلبة العرب يجلسون قريبين من بعضهم ويلمسون بعضهم، وأن الطلبة الأمريكان لا يقومون بمثل تلك الحركات، أي أن المسافة بين المتكلمين الأمريكان أبعد مما هي عليه عند المتكلمين العرب في نفس الظروف.

وهناك ملاحظة أخرى وردت في كلام هول السابق ذكره يجدر بنا أن نتوقف عندها لنبدد الشكوك حولها. لقد رسم هول صورة خاطئة عن عدم احترام العربي لمسافة الآخرين في الأماكن العامة وذكر أنماطاً سلوكية غريبة لا وجود لها في المجتمع العربي، بل وصل به الأمر إلى الوقوع في الخطأ الجسيم حينما صرح بأن العربي لا يعتبر انتهاك حرمة الجسد أمراً خطيراً بل هو شيء هين، والدليل على ذلك هو افتقار العربي لكلمة «اغتصاب» على حد زعمه. وهذا غير صحيح قطعاً، فالمعجم العربي يحتوي بالفعل على كلمة (اغتصاب) و(غصب) والتي تعني «مواقعة المرأة كرها، أو أخذ المال قهرا وظلما» (المعجم الوسيط، غصب). وورد في (لسان العرب): «..وفي الحديث: أنه غصبها نفسها، أراد أنه واقعها كرهاً» (مادة غصب). ونجد في المعجم العربي كذلك كلمات أخرى تشير إلى اقتحام المسافة الشخصية وانتهاك حرمة البدن وذلك مثل (نزع) المرأة أي جذبها (وانتزع) قلادتها، و(سلب) الشيء أي انتزعه قهراً و(سلب) الرجل أي أخذ ما عنده وجرده من ثيابه وسلاحه، و(هتك عرضها). وهتك العرض في القانون الكويتي «هو كل فعل مخل بالحياء يستطيل إلى جسم المجني عليه وعوراته ويخدش

عاطفة الحياء عنده، ولا يشترط أن يترك الفعل أثراً في جسم المجني عليه ويكفي اتجاه إرادة الجاني إلى ارتكاب هذا الفعل وهو عالم بأنه يخل بالحياء العرضي مهما كان الباعث الذي حمله على ذلك. . . الخ»[٢٦]. ويتضح من هذا التعريف أن «هتك العرض» يشمل أي فعل يتضمن الولوج في منطقة المسافة الشخصية، ومن ثم ارتكاب ما يؤدي إلى انتهاك حرمة البدن. والمصطلح بهذا المعنى لا مقابل له في اللغة الإنجليزية.

وإلى جانب ذلك نجد في تعاليم الإسلام ما يدل على أن للجسد حرمة؛ فلا يجوز إرهاب الإنسان أو أخذ الشيء منه بغير رضاه، ولا يجوز للإنسان أن ينقض بنية بناها الله تعالى، حتى بنيته نفسه: لا بقتل النفس، ولا بإفساد الفطرة. والسلب والاغتصاب (الذي هو بمعنى أخذ المال عنوة) يدخلان في باب الحرابة وقد نص القرآن الكريم على العقوبة الرادعة لتلك الجريمة الكبرى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض). وبذلك يكون الإسلام قد جعل للسلب عقوبة أشد وأقسى من عقوبة السرقة. أما عقوبة الاغتصاب (أي الاعتداء الجنسي) فتتفاوت ما بين الرجم للزاني المحصن والجلد لغير المحصن. والواقع «أن كل اتصال جنسي قائم على أساس غير شرعي يعتبر زنى تترتب عليه العقوبة المقررة من حيث إنه جريمة من الجرائم التي حددت عقوباتها»[٢٧].

وقد كان الإسلام حريصاً على نبذ ما يقود إلى التحرش الجنسي أو الملامسة الجسدية، فدعا إلى غض البصر (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم). واعتبر ملامسة المرأة من دواعي إبطال الوضوء، وفي ذلك كناية عن تجنب ذلك الفعل في الظروف العادية. بل نجد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو بوضوح إلى إبقاء المسافة بين الرجل والمرأة وتجنب مزاحمتها: (لأن يزحم أحدكم خنزيرا أجرب خير من أن يزحم امرأة).

والإسلام يحترم النظام ويعلم المسلمين فضيلة الانتظام في طابور، حيث نجد الصلاة، وهي عبادة رئيسية يومية تتكرر في أوقات منتظمة خمس مرات

يوميا، نجدها تعتمد على الصف المنتظم لجموع المصلين: (إن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج).

إذن فالملاحظات التي ذكرها هول عن سلوك العربي حيال المسافة غير صحيحة إطلاقاً. وإذا كانت تلك الملاحظات قد نقلت لذلك الكاتب أو شاهدها هو نفسه بأم عينيه فإن الممارسات الخاطئة أو قلة الأدب يمكن أن تصدر عن أية فئة في أي مجتمع بما في ذلك المجتمع الغربي نفسه، ولكنها يجب ألا تتخذ دليلاً على نمط سلوكي مزعوم يؤطر سلوك أفراد المجتمع كلهم.

مدلول المسافة عند العربي

إن المسألة التي أثرتها في الفقرة الأخيرة، وهي اعتراف العربي بوجود المسافة الشخصية وذلك من خلال كلمات في اللغة تدل على السلب والإغتصاب، هذه المسألة وردت مختصرة في مجال الرد على بعض المغالطات. وينبغي أن نعالجها الآن ضمن سياق أوسع لكي نعطي الموضوع حقه ولا يكون هناك مجال للشك والرأي الظني. والسياق المقترح هنا يقع ضمن سؤال منهجي يطرحه البحث بإلحاح ألا وهو: ما هو مدلول المسافة عند العربي؟ ماذا يوحي له اختلاف المسافة بين المتكلم والمستمع قرباً وبعداً؟

للإجابة عن هذه الأسئلة إجابة موضوعية مستندة على أدلة واضحة فقد قمت ببحث ميداني حيث عرضت ستة أشكال على مجموعة من الأشخاص كما سيرد وصفهم. والأشكال - كما هو واضح فيما يلي من صفحات - تتكون من ستة رسوم يدوية مأخوذة من كتاب «لغة الجسد» (Pease 1981)، وتمثل درجات مختلفة من الاقتراب، والقيام باللمس عن طريق المصافحة أو مسك الساعد[٢٨]. وكانت التعليمات الصادرة لكل مشترك مقتصرة على توضيح على النحو التالي:

إنك ستشاهد مجموعة من الصور، والمطلوب منك أن تخبرني بشكل عفوي وبدون كد الذهن ما توحيه لك كل صورة. أي أنك لو شاهدت في حياتك العملية مثل هذا المنظر فماذا تستشف منه مباشرة؟! ولم يوضح لأي مشترك الهدف من البحث. وكان الفضول يدفع بعض المشتركين لتكرار السؤال عن

هدف الشيء الذي أقوم به، ولكني لم أصرح لأي مشترك بأي شيء تحاشيا للتأثير على آرائهم.

أما المشتركون في البحث فهم ١٢٢ شخصا، ٥٣ منهم ذكور و٦٩ منهم إناث، يقعون في ٧ فئات سنية (انظر الجداول فيما يلي) ويشكلون في مجموعهم ١٤ جنسية عربية (انظر الملاحق) وبذلك فهم يمثلون شريحة مصغرة جدا من المجتمع العربي. وكان القصد من تنويع الفئات السنية هو معرفة ما إذا كان لعامل السن دور في الحكم الذي يصدره المشارك.

وقد دونت إجاباتهم دون تحريف أو زيادة واخترت العناوين المذكورة في كل شكل انطلاقاً مما ورد في إجابات الأغلبية، فإذا وردت في إحدى الإجابات جملة طويلة مثل (مصافحة بين صديقين حميمين يلتقيان بعد فراق طويل، ويكون اللقاء حاراً جداً) أو (مصافحة بين صديقين بينهما علاقة قوية) أو حتى مجرد (سلام طبيعي وحار جداً) فأنا أدرجها تحت العنوان العام (إظهار العواطف والمحبة الأخوية) لأن هذه العبارة وردت في إجابة أغلبية المشاركين، ولأن مضمون العبارة المطولة يمكن اختصاره ضمن ذلك العنوان. وكذلك إذا وردت إجابات مثل (متى ستأتي)، (حاول أن تكرر الزيارة مرة أخرى) فأنا أدخلها تحت العنوان (سلام مع معاتبة على قلة الزيارة) للسبب الذي تقدم ذكره. وقد كانت عملية تفريغ الإجابات في الخانات النهائية التي وردت في كل جدول عملية مضنية واستغرقت مني وقتاً ومجهوداً كبيرين. **ثم قمت** بعد ذلك بإدخال البيانات في برنامج SPSS واستخرجت منه العمليات **الإ**حصائية المطلوبة والتي أفادتني في إيراد التعليقات المناسبة والتوصل إلى النتائج التي **كشف** عنها البحث. وسأعرض فيما يلي الأشكال مع تعليقات المشتركين في البحث **عليها**. وسأختار منها متغيرين رئيسيين هما (فئة السن) و(الجنس) حيث نجد **أن** الفئات السنية المشاركة في البحث تندرج تحت سبع فئات. أما متغير (الجنسية) فيشمل أربع عشرة جنسية ولذلك أوردت جداوله في الملاحق رغبة في اختصار النص الأصلي. وقد أثبتها هناك ليكون العمل متكاملاً، ولكي تتاح الفرصة لباحثين آخرين في المستقبل ليجروا عليها دراسات وتحليلات أخرى.

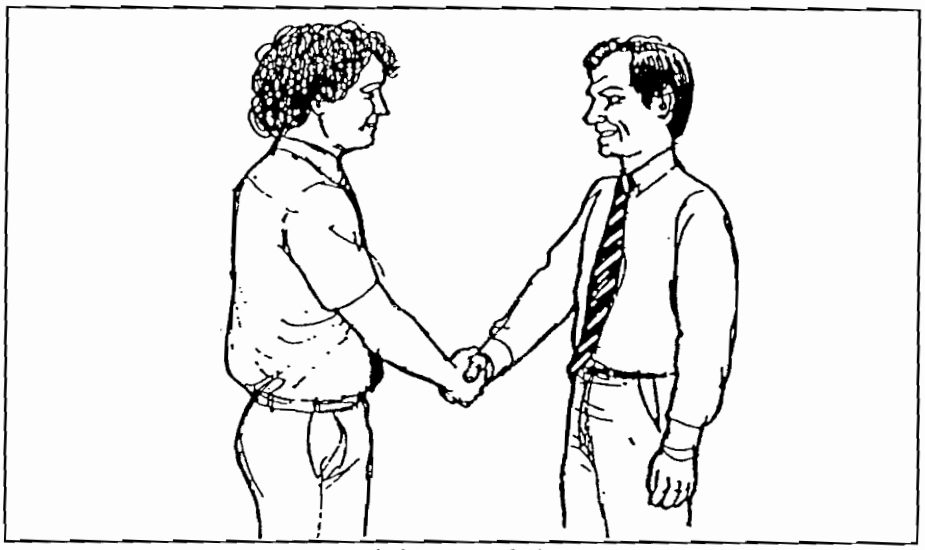

الشكل رقم (١)

المتغيرات	صداقة حميمة	استقبال ينطوي على حرارة	استقبال صديق	مباركة لشخص عزيز	علاقة زمالة	بداية أو نهاية لقاء	صديق لم يرَ صديقه
< ٢٠	٦	٣	٤		٤	٤	٢
٢٠ - ٢٤	٥	٤	٦	٢	٥	٩	١
٢٥ - ٢٩	٤	١		٢	٧	١٠	١
٣٠ - ٣٤	٤	٢	٢		٢	٩	١
٣٥ - ٣٩	٣		١	١		٢	
٤٠ - ٤٤		١	٢		٢	٢	٢
+ ٤٥	١	١		١	١	٢	
إناث	١٤	٨	١٢	٢	١٢	١٨	٣
ذكور	٩	٤	٣	٤	٩	٢٠	٤

الجدول رقم (١)

المسافة هنا قريبة بحيث إنها تسمح بالمصافحة. والواضح من الإجابات أن العربي يعرف حق المعرفة أن الأصدقاء (أو الذين يرتبطون بعلاقة زمالة) يقومون بالمصافحة، سواء في مناسبات عامة أو في مناسبات خاصة، فهذا جزء من التقاليد الاجتماعية السائدة. ولكن العنصر المهم الذي يكشف عنه الجدول السابق هو أن المصافحة أصبحت جزءاً من «الإتيكيت» في المجاملة الاجتماعية. وبهذا فنحن نجد أن جميع الفئات السنية قد اختارت الإجابة السادسة، وهم بذلك يمثلون ٣١,١٪ وهي أعلى نسبة وتليها نسبة الإجابة الأولى البالغة ١٨,٩٪ وتتركز الإجابة السادسة عند الفئات السنية الصغيرة. وإذا انتقلنا إلى عامل الجنس فسنجد أن أكبر عدد من الذكور والإناث هم الذين اختاروا الإجابة السادسة فالإجابة الأولى، مع ملاحظة أن الذكور يميلون إلى اختيار مدلول «الإتيكيت الاجتماعي» للمصافحة، بينما الإناث يملن إلى اختيار مدلول «الصداقة» للمصافحة.

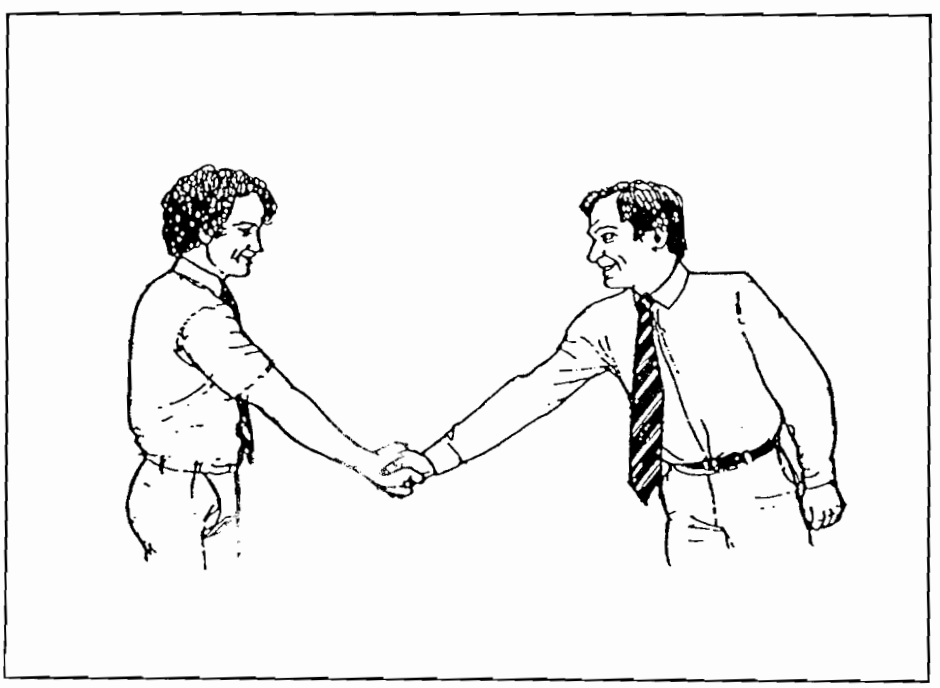

الشكل رقم (٢)

المتغيرات	تعارف لأول مرة	تحية عابرة أو حذرة	مصافحة مع غريب للمجاملة	شخص عالي النفوذ يصافح من هو أدنى منه	نهاية لقاء أو تحية وداع لغريب	سلام مستعجل لضيق
٢٠ >	٤	٤	٥		٤	٦
٢٤ - ٢٠	٥	٦	٢	٤	٧	٨
٢٩ - ٢٥	٤	٢	٣		٩	٧
٣٤ - ٣٠	٤	٣	٢	٣	٥	٣
٣٩ - ٣٥	١		٢		١	٣
٤٥ - ٤٠	٢	١	٣	١	٢	
٤٥ +	١		١		٤	
إناث	١١	٩	١٢	٦	١٥	١٦
ذكور	١٠	٧	٦	٢	١٧	١١

الجدول رقم (٢)

المسافة في هذا الشكل أبعد من تلك التي لاحظناها في الشكل الأول. وهذا البعد النسبي كان كفيلاً بأن يستقطب تلك التعليقات الستة التي نجدها في هذا الجدول. ولو ألقينا نظرة عامة على مدلول تلك التعليقات فسنجد أنها كلها تصب في مجال واحد وهو عدم وجود زمالة أو صداقة مسبقة، أي أن المشارك الأيمن يقترب نحو المشارك الأيسر بحذر يتمثل في إبقاء قدر كاف من المسافة، بحيث إنه مد يده مداً لإجراء عملية المصافحة. ونتيجة لهذا الوضع في إجراء المصافحة فقد اختار ٣٩٪ من الفئة السنية الثالثة الإجابة الخامسة، في مقابل ٢٨٪ من نفس الفئة السنية الذين اختاروا الإجابة السادسة. ويتكرر هذا النمط من الاختيار عند مختلف الجنسيات المشاركة في الإجابة. فالإجابة الخامسة تمثل اختيار ٣٢ شخصاً (٢٦,٢٪)، والإجابة السادسة تمثل اختيار ٢٧ شخصا (٢٢,١٪)، وهذان الرقمان يمثلان أعلى رقمين في فئة الجنسية فيما يتعلق بالشكل الثاني.

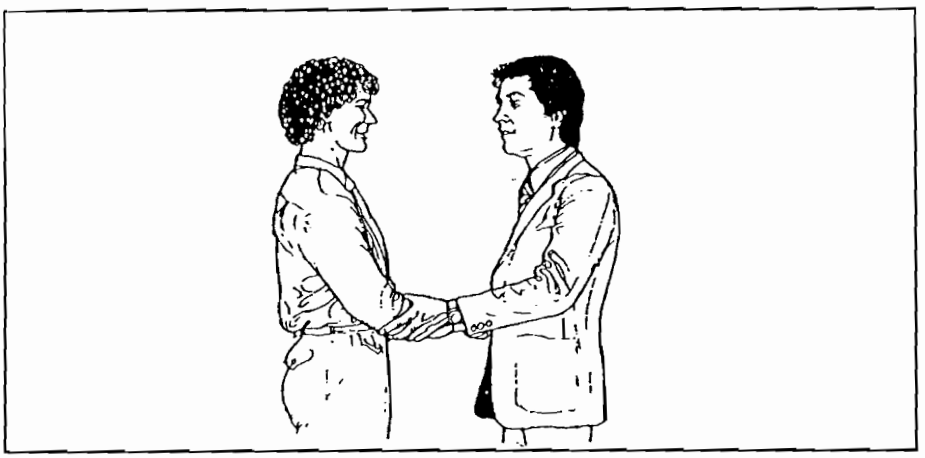

الشكل رقم (٣)

المتغيرات	علاقة حميمة أو صداقة قديمة	اشتياق وإظهار محبة	سلام على شخص لم يره منذ مدة طويلة	صديق يوصي صديقه أو ينصحه بشيء معين	يحدثه بموضوع خاص أو يؤكد له شيئاً	وداع	تهنئة	استقبال ضيف عزيز
< ٢٠	٦	٧	٣	٢	٢			٣
٢٠ - ٢٤	١١	٥	٩	٢	٢	١	٢	
٢٥ - ٢٩	٥	٨	٥	١	٢		٢	٢
٣٠ - ٣٤	٤	٢	١٠	١	٢		١	
٣٥ - ٣٩	١	٢	١			١	٢	
٤٠ - ٤٤	٢	٣	١		٢			١
+ ٤٥	١	١	١	١	١		١	
إناث	١٧	١٥	١٦	٣	٧	٢	٥	٤
ذكور	١٣	١٣	١٤	٤	٤		٣	٢

الجدول رقم (٣)

اقترب المتحاوران من بعضهما بحيث إن أحد الطرفين أتيحت له الفرصة لأن يمسك بساعد الآخر. وقد ذكرنا فيما مضى أن من عادات العرب أن يقترب الأصدقاء نحو بعضهم أثناء التحاور، وهذا الاقتراب يهيىء الفرصة لأن يلمس الصديق صديقه، ويمسك بيده، أو يربت على كتفه أو فخذه أو غير ذلك من حركات. والنتائج المنشورة في هذا الجدول تؤيد هذا التصور. فمن جانب نجد أن الإجابات الثمانية تفيد بأن العربي يعي ما لقرب المسافة وتلامس الأيدي من دلالة خاصة. ومن جانب آخر نجد أن الإجابة الأولى والثالثة شكلت اختيار ٣٠ شخصا في الحالتين، وهذا العدد يمثل ٢٤,٦٪ من المجموع الكلي للأفراد، وهي أعلى نسبة. وهاتان الإجابتان تركزان على وجود العلاقة الحميمة وعلى العواطف التي يظهرها الإنسان لمن يرتبط به برباط المعرفة. ونجد أن هذه النسبة (أي ٢٤,٦٪) تظهر أيضاً في متغير الجنسية، فيما يتعلق بالإجابتين الأولى والثالثة. وهذا العامل الإضافي يقدم سنداً وتعضيداً للتحليل الذي انتهينا إليه.

وإذا أدخلنا عامل الجنس في التحليل فسنجد أن ٢٤,٦٪ من مجموع الإناث اخترن دلالة «العلاقة الحميمة والصداقة القديمة» لنمط المصافحة في الشكل رقم(٣). وهي تمثل أعلى نسبة في جميع إجابات الإناث. أما أعلى نسبة في فئة الذكور فهي ٢٦,٤٪ وتمثلها الإجابة الثالثة. وربما يكون بوسع المرء أن يستشف من ذلك أن هذا النمط من المصافحة يقترن في ذهن الأنثى بالصداقة والعلاقة الحميمة. بينما هو في ذهن الرجل مرتبط بالناحية العملية.

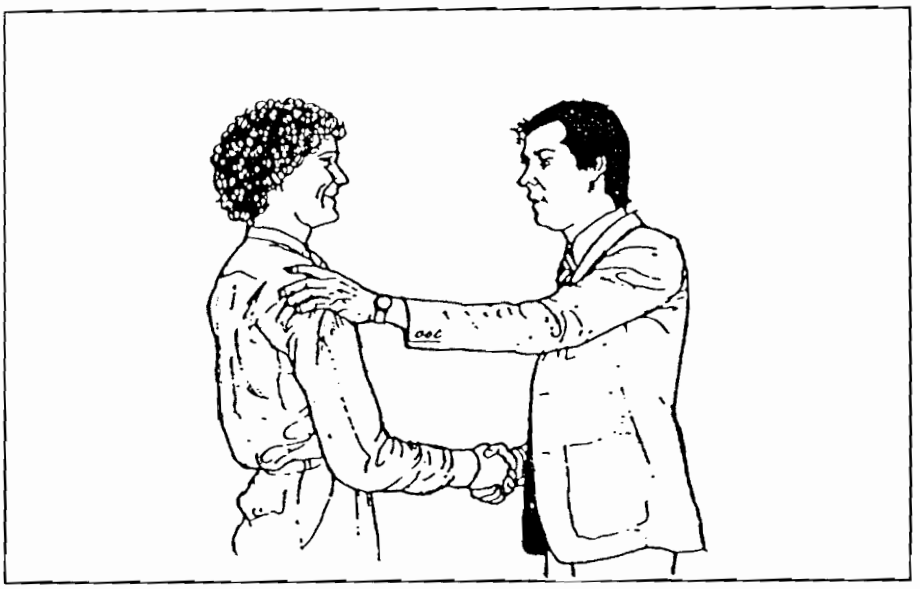

الشكل رقم (٤)

المتغيرات	علاقة نصح وإرشاد	إعطاء أمل تشجيع ورفع معنويات	سلام مع معاتبة على قلة الزيارة	إظهار العواطف والمحبة الأخوية	مصافحة وداع	يوصيه بشيء أو يطلب منه شيئا	مبروك على الوظيفة أو الترقية
٢٠ >	٢	١	١	١٠	٢	٣	٣
٢٠-٢٤	٤	٧	١	٩	٢	٨	١
٢٥-٢٩		٥	١	٦		١٠	٣
٣٠-٣٤	٣	٤	١	٦	١	٤	١
٣٥-٣٩	٢	١		١	٣		
٤٠-٤٥	١	٢	١	٢	٢		١
+٤٥				٣			٢
إناث	٦	١٢	٤	٢١	٥	١٥	٥
ذكور	٦	٨	١	١٦	٥	١٠	٦

الجدول رقم (٤)

إن نمط المصافحة هنا المقترن بوضع اليد على الكتف يجعل المسافة الشخصية القريبة ذات دلالة خاصة. والمعاني التي اختارها المشاركون تعبر عن هذه الدلالة، فتلك المعاني نظهرها لمن نرتبط بهم بصلة قرابة أو صداقة عميقة. وبمراجعة الإحصائيات في الجدول رقم(٤) نجد أن جميع الفئات السنية قد ذكرت الإجابة الرابعة، وهم في مجموعهم يمثلون ٣٧ شخصاً من أفراد المجموعة أي ٣٠,٣٪ وهي أكبر نسبة، وتليها نسبة ٢٠,٥٪ وهي للإجابة السادسة، ثم نسبة ١٦,٤٪ وهي للإجابة الثانية. ولا شك أن الصورة في الشكل (٤) تقود إلى مثل هذه النتائج مباشرة. فالمتكلم الذي يريد أن يظهر عواطفه الجياشة، أو أن يوصي المخاطب بشيء أو يطلب منه شيئاً، أو يريد أن يرفع معنوياته بتشجيعه وحثه على الصبر والمثابرة، فإنه يقترب من المخاطب ويضع يده على كتفه. وحينما تستريح اليد على الكتف في مثل هذه المواقف فإن الفرصة تكون مواتية لأن يضغط المتكلم بيده على كتف محدثه عند النطق بعبارات معينة في ذلك الموقف.

وسيجد القارىء أن نسب الإجابة الرابعة مرتفعة عند الفئات السنية الصغيرة نسبيا (٢٤ سنة فأقل). ومغزى ذلك أن العربي يعي منذ صغره احترام المسافة الشخصية، وأن الدخول في هذه المسافة يكون بدافع إظهار العواطف الشخصية مع المقربين إليه. أما تركيز الفئة السنية (٢٥-٢٩) فقد كان على الإجابة السادسة، حيث إن ٤٠٪ من أفراد هذه الفئة السنية قد اختاروا تلك الإجابة. ويدل ذلك على أن هذه الفئة ترى أن التقارب بين المتحاورين ووضع اليد على الكتف يكون في أغلب الأحوال في الحالات التي يريد المتكلم أن يوصي المستمع بشيء أو يطلب منه شيئاً. ووضع اليد على الكتف يعطي إحساساً بالاندماج العاطفي.

وتأكيداً لوجهة النظر هذه دعونا نلق نظرة على الجدول رقم (٤) في الملاحق. يظهر هذا الجدول الشكل (٤) مع متغير الجنسية. سنجد أن الإجابة الرابعة تمثل أعلى نسبة عند جميع الجنسيات التي اختارت هذه الإجابة، يلي ذلك الإجابة السادسة، ثم الثانية. والواقع أن الجنسية اليمنية، والتونسية، والسودانية لم تختر إلا الإجابة الثانية، وهي التي تبين أن المتكلم يشجع المستمع أو يرفع معنوياته.

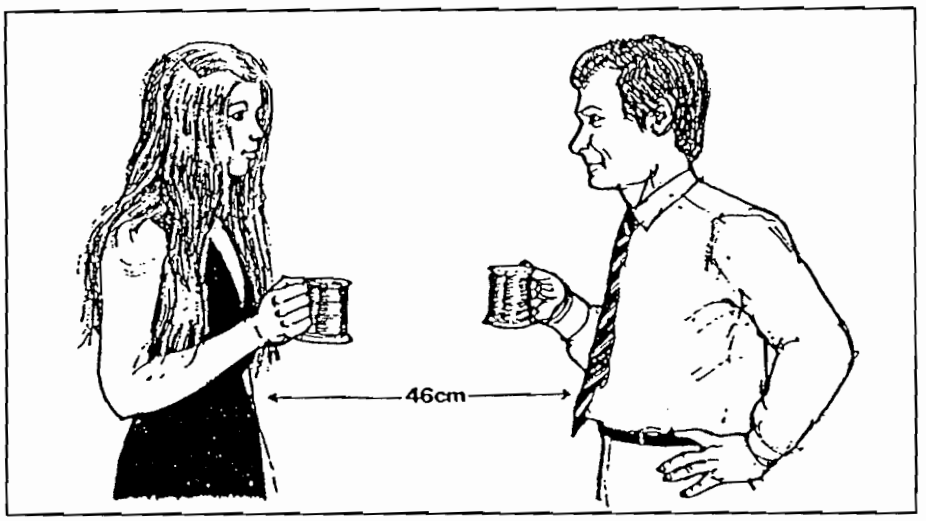

الشكل رقم (٥)

المتغيرات	زمـــلاء عمل، صداقة عمل	تبادل أحاديث أثناء استراحة العمل	بـداية تعارف	مجرد حديث في موضوع معين	مدرس وتلميذته	حديث بين مدير وسكرتيرته
< ٢٠	١٢	٢	٥	٣		١
٢٠-٢٤	١٧	٥	٤	٤		٢
٢٥-٢٩	٨	٦	٤	٥	١	١
٣٠-٣٤	٨	٣	٥	١		٣
٣٥-٣٩	٢	٢	٢	١		
٤٠-٤٥	٥	١	٢	١		
٤٥+	٢	١	٢	١		
إناث	٢٨	١٣	١١	١٣		٤
ذكور	٢٦	٧	١٣	٣	١	٣

الجدول رقم (٥)

كانت المسافة في الأشكال السابقة بين شخصين من نفس الجنس. وفي هذا الشكل والشكل الذي يليه نجد أن المسافة بين جنسين متضادين. وقد حرصت على ذلك حتى أقف على وجهة نظر العربي من اقتراب المسافة أو تباعدها بين متحاورين مختلفي الجنس. وأول ما يلفت النظر في هذا الشكل أن المسافة يمكن أن تعتبر نموذجاً «للمسافة الشخصية البعيدة» حسب تصنيف هول. وقد اكتفى هول بذكر مثال واحد لتوظيف هذه المسافة حيث صرح بأن الشخصين اللذين يلتقيان في الطريق يبقيان بينهما هذه المسافة. ولكن المشاركين في البحث اختاروا ست دلالات مختلفة لهذه المسافة. ويدل ذلك على أن العربي يقدر المنطقة الحدودية الخاصة كما أنه يعي ما للمسافة الشخصية من دلالة.

لقد وجد المشاركون في البحث أن هذه المسافة تسمح بتبادل الحوار المريح، ولذلك فإن ٥٤ شخصا منهم (أي ٤٤,٣٪) اعتبروا أن الرجل والمرأة في هذا الشكل زملاء عمل أو تربط بينهما صداقة عمل. وهناك تقارب بين رأي الإناث والذكور حيال ذلك. ولكن هناك تفاوتا بين رأي الإناث والذكور فيما يتعلق بالإجابة الثانية والرابعة، حيث إن نسبة الإناث تبلغ ١٨,٨٪ في مقابل ١٣,٢٪ للذكور في الحالة الأولى، وفي الحالة الثانية تبلغ نسبة الإناث ١٨,٨٪ في مقابل ٥,٧٪ للذكور. ولا شك أن نمط الحياة الحديثة ومجال العمل الوظيفي المشاهد بوضوح في الدوائر الحكومية قد قاد الإناث لإصدار مثل هذه الأحكام.

أما الإجابة الثالثة فقد اختارها ٢٤ مشاركاً (أي بنسبة ١٩,٧٪) وهي بذلك ثاني أكبر نسبة بعد الإجابة الأولى (لاحظ مغزى زيادة عدد الذكور عن الإناث في الإجابة الثالثة). والدلالة الاجتماعية المباشرة التي يمكن أن نستشفها من هذه الإحصائيات هي إدراك العربي أن بداية التعارف بين الرجل والمرأة يقتضي احترام المنطقة الشخصية وإبقاء الحواجز أي عدم تقليص المسافة، وذلك خلافاً للكتابات الانطباعية التي سطرها بعض الغربيين وادّعوا فيها أن العربي يميل إلى التدافع والتوغل في المنطقة الحدودية للآخرين باستمرار.

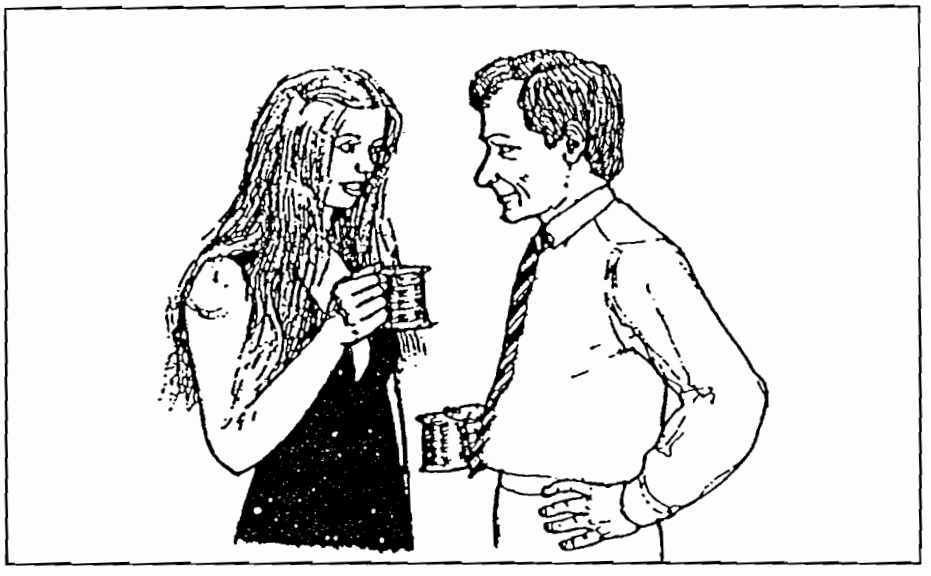

الشكل رقم(٦)

المتغيرات	علاقة عاطفية أو حميمة	استلطاف أو إعجاب متبادل	زوج وزوجته يتحدثان في موضوع خاص	بينهما صلة قرابة	تبادل حديث ودي	التحدث في موضوع شخصي	رجل وامرأة بينهما علاقة خطوبة
< ٢٠	١٠	٤	٢		١	٣	٣
٢٠-٢٤	١٧	٤	٣		٤	٣	١
٢٥-٢٩	١١	٢	١	٢	٢	٥	٢
٣٠-٣٤	٧	٣		٣	٤	٢	١
٣٥-٣٩	٣			١	١	٢	
٤٠-٤٥	٣	١		١	١	٢	١
+٤٥	٤	١			١		
إناث	٣٢	١١	٣	٤	٥	٩	٥
ذكور	٢٣	٤	٣	٣	٩	٨	٣

الجدول رقم (٦)

لقد تقلصت المسافة هنا بحيث إنه أصبح بالإمكان أن يميل أحد الطرفين تجاه الآخر ويهمس في أذنه شيئاً، ناهيك أن قرب المسافة هنا تهيىء الفرصة للمس والتربيت. وقد تفاعل المشاركون في البحث مع هذا الوضع الجديد بشكل طبيعي وعفوي، وجاءت إجاباتهم منسجمة مع إيحاءات هذه المسافة. ومن اللافت للنظر ورود إجابات من قبيل (٣) و(٤) و (٧). وعلى الرغم من أن هذه الإجابات لاتشكل نسباً عالية أي ٤,٦٪، ٥,٧٪، ٦,٦٪ على التوالي (راجع الجدول) فإنها ذات دلالة مهمة لموضوع بحثنا، حيث يتضح منها أن من العرب من يرى أن الرجل لايقترب من المرأة إلى هذا الحد إلا إذا كانت بينهما علاقة شرعية أو صلة قرابة.

وأما أعلى نسبة في هذا الجدول فهي تلك المتعلقة بالإجابة الأولى، حيث ذكرها ٥٥ من أفراد العينة (أي ٤٥,١٪). ويبدو لي أن هناك عوامل إضافية - إلى جانب قرب المسافة - قد قادت المشاركين نحو هذا الاختيار. من هذه العوامل: الحملقة أو الحدج بالبصر gaze الوضع الجسماني Posture، الملبس artifacts، وهذه العوامل خفية وليست ظاهرية ولكننا نوظفها بوعي في السلوك الاتصالي المقصود بحكم ما لنا من خبرة حياتية وتمرس بنظامنا الاجتماعي.

بعد ذلك نجد إجابات بارزة أخرى مثل رقم (٢) و(٥) و(٦). والعنصر المشترك بين هذه الإجابات الثلاث هو فكرة الحديث المشوب بعاطفة وجدانية خاصة. وهذا النوع من الحديث يتطلب القرب. وإذا كان القارىء يريد أن يستفسر عن التفاوت الكبير بين عدد الإناث والذكور في الإجابة رقم (٢) فالتفسير الذي يمكن أن أقدمه هنا في حدود طبيعة موضوع البحث هو أن العوامل الخفية التي ذكرتها قبل قليل ربما أثرت في هذا الاختبار. وقد تكون هناك عوامل أخرى اجتماعية ونفسية ولكن هذا الجانب التفصيلي لايدخل ضمن مجال البحث.

الخاتمة

إن المسافة التي يبقيها المتحاوران مابينهما تؤدي وظائف متعددة طبقاً لظروف الحوار وطبيعة المكان، وبذلك نستطيع إدخال المسافة ضمن العناصر غير اللفظية في الاتصال اللغوي. ودلالة المسافة تنطلق من فكرة المنطقة الحدودية، وهي المساحة الوهمية أو «الفقاعية» التي نحتفظ بها حوالينا وندعي ملكيتها، ويكون ذلك من خلال عدم السماح للغرباء بالولوج فيها أو اختراقها بشكل فج. وقد تبين لنا من الدراسة المصغرة التي أجريناها على ٤٢ أستاذا أن الطاولة في قاعة المحاضرات تعتبر حاجزاً طبيعيا لتحديد المنطقة الحدودية للدكتور، والمنطقة الحدودية للطلبة. وبذلك فإن المسافة بين الأستاذ وطلبته تتحدد على أساس شكل قاعة المحاضرة.

واتضح لنا من العرض أن المسافة أنواع ودرجات، وأن نظرة الشعوب والثقافات المختلفة إلى المسافة تختلف بل إنها تتناقض أحيانا. ولكن الفكرة الجوهرية التي حرصت على تتبعها هي نظرة العربي إلى المسافة، خاصة أنني رأيت أن من الباحثين الغربيين من يحمل أفكاراً خاطئة عن مدلول المسافة عند العربي، وأن هذه الأفكار يستشهد بها على أنها من المسلمات. ووجدت في تعاليم الدين الإسلامي والواقع اللغوي والممارسات القانونية في المحاكم (في دولة الكويت) خير سند لدحض تلك الافتراءات. ولكنني لم أكتف بذلك، ففكرت في وسيلة استنطق بها وجدان العربي وأغوص بها في عقله الباطن، فقمت ببحث ميداني حول جوانب من استعمالات المسافة عند العرب. ويعتبر هذا البحث بهذا التصميم وهذا النمط من التحليل الأول من نوعه الذي يجري على أية لغة. وقد كشف لي البحث الميداني عن جوانب تفصيلية دقيقة لاستعمالات المسافة مما لم ترد في كتابات الأوربيين الذين كتبوا في هذا المجال. ويدل كل ذلك في النهاية على أن العربي على إدراك تام بما تؤديه المسافة من دلالات.

ملحق الجداول

الجنسية	صداقة حميمة	استقبال ينطوي على حرارة	استقبال صديق	مباركة لشخص عزيز	علاقة زمالة	بداية أو نهاية لقاء	صديق لم ير صديقه
كويتي	١١	٤	٥	٣	٨	١٤	٥
سعودي	٤		١		٣	٥	١
فلسطيني		٢	١	١	٣	٢	
مصري		٣	١		٢	٦	
أردني	٢		٢		٢	٢	١
بحريني			٣			٢	
قطري						١	
لبناني	١		١	٢			
سوري	٢		١		٢	٣	
يمني		١					
تونسي						١	
سوداني	٢					٢	
عماني		٢					
صومالي	١						
					١		

الجدول رقم (١) ويمثل الشكل (١)

الجنسية	تعارف لأول مرة	تحية عابرة أو حذرة	مصافحة مع غريب للمجاملة	شخص عالي النفوذ يصافح من هو أدنى منه	نهاية لقاء أو تحية وداع لغريب	سلام مستعجل لضيق الوقت
كويتي	١٠	٨	٧	٣	١٢	١٠
سعودي	٢	١	٣	١	٥	٢
فلسطيني	٢	١	١		٣	٢
مصري	٢	٢	١		٢	٥
أردني	١	١	٢	١	٣	١
بحريني	١	٢		١	١	
قطري					١	
لبناني					٢	٢
سوري	٢		١	٢	١	٢
يمني						١
تونسي						١
سوداني			٢		٢	
عماني	١	١				
صومالي			١			١

الجدول رقم (٢) ويمثل الشكل(٢)

الجنسية	علاقة حميمة أو صداقة قديمة	اشتياق وإظهار محبة	سلام على شخص لم يره منذ مدة طويلة	صديق يوصي صديقه أو ينصحه بشيء معين	يحدثه بموضوع خاص أو يؤكد له شيئا	وداع	تهنئة	استقبال ضيف عزيز
كويتي	١٣	١٣	١١		٥	٣		٣
سعودي	٤	٢	٢		١	١		٢
فلسطيني	٢	٣				٢	١	
مصري	١	٢	٥			٢	١	١
أردني	٤	٢	١					١
بحريني	١	١	٢		١			
قطري			١					
لبناني	٢		٢					
سوري	١	٢	٣			٢		
يمني		١						
تونسي		١						
سوداني	١		١			١		١
عماني		١	١					
صومالي	١		١					

الجدول رقم (٣) ويمثل الشكل(٣)

الجنسية	علاقة نصح وإرشاد	إعطاء أمل تشجيع ورفع المعنويات	سلام مع معاتبة على قلة الزيارة	إظهار العواطف والمحبة الأخوية	مصافحة وداع	يوصيه بشيء أو يطلب منه شيئاً	مبروك على الوظيفة أو الترقية
كويتي	٧	٧	٤	١٠	١	١٢	٧
سعودي	١	١		٥	٢	٥	
فلسطيني		١		٦		١	١
مصري	١	١		٤	٢	٢	٢
أردني		٣		٣	١	١	١
بحريني				٢	١	٢	
قطري						١	
لبناني	١			١	١	١	
سوري		٢		٥	١		
يمني		١					
تونسي		١					
سوداني	١	٢			١		
عماني	١		١				
صومالي		١		١			

الجدول رقم (٤) ويمثل الشكل(٤)

الجنسية	زملاء العمل، صداقة عمل	تبادل أحاديث أثناء استراحة العمل	بداية تعارف	مجرد حديث في موضوع معين	مدرس وتلميذته	حديث بين مدير وسكرتيرته
كويتي	٢٤	٧	١١	٤	١	٣
سعودي	٧	٢	٢	٢		١
فلسطيني	٣		١	٥		
مصري	٤	٤	٣			١
أردني	٦			٢		١
بحريني	١	١	١	٢		
قطري	١					
لبناني		٢	٢			
سوري	٣	٣	١			١
يمني		١				
تونسي			١			
سوداني	٣		١			
عماني	١			١		
صومالي	١		١			

الجدول رقم(٥) ويمثل الشكل (٥)

الجنسية	علاقة عاطفية أو حميمة جداً	استلطاف أو إعجاب متبادل	زوج وزوجته يتحدثان في موضوع خاص	بينهما صلة قرابة	تبادل حديث ودي	التحدث في موضوع شخصي	رجل وامرأة بينهما علاقة خطوبة
كويتي	٢٧	٥	٣	٢	٦	٤	٣
سعودي	٤	٢	١	١	٢	٤	
فلسطيني	٧	٢					
مصري	٦			١	١	٣	١
أردني			١	٢	٢	٢	٢
بحريني	٢	١				٢	
قطري	١						
لبناني	١				٢	١	
سوري	٣	٣					٢
يمني	١						
تونسي						١	
سوداني	٢			١	١		
عماني		١	١				
صومالي	١	١					

الجدول رقم(٦) ويمثل الشكل(٦)

الهوامش والمراجع

(١) يستعمل الباحثون العرب المعاصرون مصطلحات أخرى مثل: المرسل / المرسل إليه، المتحدث / المتلقي، المنشيء / المستقبل.

(٢) - Kendon, Adam. **Nonverbal Communucation, Interaction, and Gesture** (Mouton: The Hague, 1981) P. 3.

(٣) راجع: - Sommer, Robert, Studies in Personal Space. **Sociometry,** (Vol. 22, 1959) P. 247.

(٤) تختلف المسافة بهذا المعنى من حيوان إلى آخر وطبقا لمكان معيشتها، أي كونها تعيش في البرية أو في الأسر. وقد قام هديغر بقياس تلك المسافة لمئات من الحيوانات، ويعتبر كتابه حول سيكولوجية الحيوانات وسلوكها في حديقة الحيوانات وفي السيرك كتابا مهما في هذا الجانب. انظر:

- Hediger, H. **Studies of the Psychology and Behaviour of Animals in Zoos and Circuses.** (New York: Criterion, 1955).

(٥) راجع كذلك:

- Sommer, Robert. Studies in Personal Space **Sociometry,** (Vol. 22, 1959) P. 247 ff.

(٦) يعطي الفصل الثاني من كتاب مايكل واطسون (السلوك التقاربي) صورة ممتازة وواضحة لأساليب تحديد المنطقة الحدودية وتعيين المسافة عند الحيوان والإنسان. انظر:

O. Michael Watson: **Proxemic Behaviour: A Cross - Cultural Study.** (Mouton: The Hague, 1970).

(٧) انظر: - Fast,n Julius. **Body Language.** (Pan Books, London & Sydney: 1978) P. 28

(٨) راجع: - Hall, Edward T. **The Silent Language.** (Doubleday & Co., New York: 1959) P. P. 164.

(٩) راجع: - Pease, Allan. **Body Lannguaqe.** (Sheldon Oress London, 1981) P. 27.

(١٠) انظر في ذلك كتابه المؤثر
- Hall, Edward T. **The Hidden Dimension** (Doubleday & Co., New York: 1966).

(١١) يمكنك كذلك الرجوع إلى:

- Fast, Julius. **Body Language**. (Pan Books: London & Sydney: 1978).

وكذلك:

- Pease, Allan. **Body Language**. (Sheldon Press: London, 1981).

حيث تجد سردا لهذه المسافات.

(١٢) - Julius Fast. Op. Cit. P. 31

(١٣) راجع: Fast. Op. Cit. P. 31.

(١٤) انظر: - Sommer, Robert. The Distance for Comfortable Conversation: A Further Study. **Sociometry**, (Vol. 25, 1962) P. 111.

(١٥) راجع: - Sommer, Robert. Studies in Personal Space. **Sociometry**, (Vol. 22, 1959) P. 249.

(١٦) سمعت منه هذه الملاحظة في عا م ١٩٧٤، وربما تكون الصورة قد تغيرت بعد تلك الفترة.

(١٧) Little, Kenneth B. Personal Space.
Journal of Experimental Social Psychology. (Vol. 1, 1965) P.244

(١٨) Hall, Edward T. **The Silent Language.** (Doubleday & Co., New York: 1959) P. 165.

(١٩) انظر: Fast, Julius. **Body Language.** (Pan Books, London & Sydney: 1978) P. 38.

(٢٠) المرجع السابق والصفحة نفسها Fast, Julius. Op. Cit.

(٢١) راجع كذلك كتابه السابق. Fast, Julius. Op. Cit.

(٢٢) انظر: Fast, Julius. Op. Cit. P. 41

(٢٣) Hall, Edward T. **The Silent Languaqe.**
(Doubleday & Co., New York: 1959) P. 185.

(٢٤) في الصفحة ٣٩ فما بعد من كتابه السابق الذكر.
Fast, Julius. **Body Language.** (Pan Books, London & Sydney: (1978) P. 39 ff.

(٢٥) راجع في ذلك Watson, O. Michael & Graves, T. D. Quantitative Research in Proxemics.
American Anthropologist, 1966 Vol. 68, PP. 971-985.

(٢٦) انظر القبس العدد ٧٢٢١ الصادر بتاريخ ٢٥/ ٧/ ١٩٩٣ حيث نجد إلى جانب ذلك حادثتين تمثلت الأولى في أن الجاني جذب حجاب المجني عليها وكشف عن شعرها وتلمس خدها. فطبقت المحكمة قانون هتك العرض وحكمت على الجاني بالسجن لمدة خمس سنوات وتمثلت الحادثة الثانية في أن الجاني أوقف المجني عليها في أحد الممرات الضيقة وأمسك بها وضمها إليه وقبلها على فمها وخدها، فحكمت المحكمة على المتهم بالحبس لمدة خمس سنوات. والحكم الأخير يعتبر حكماً مخففاً نسبياً، ففي حادثة مماثلة من حوادث هتك العرض حكم قاض في محكمة كويتية بالسجن لمدة سبع سنوات على شاب لأنه هتك عرض فتاة حيث ضبط وهو يقبلها في مدخل عمارة سكنية.

ولو قيض للإنجليز والأمريكان الاطلاع على هذه الأحكام لوجودها في غاية القسوة، لأن لمس الشعر والتقبيل عنوة يدخلان في حكم الإزعاج أو التحرش molastation عندهم. وبإمكان القارىء العربي أن يقارن تلك الأحكام السابقة بالحكم الذي أصدره قاض إنجليزي على شاب إنجليزي أقدم على قتل مدرس موسيقى لأن الشاب كان يحمل سكينا ويمزق بها إطارات السيارات، فشاهده المدرس وطلب منه أن يكف عن ذلك فما كان من الشاب إلا أن دنا نحو المدرس وطعنه في قلبه فأرداه قتيلا. وحكمت المحكمة على الشاب بالبراءة، وبررت القتل بأنه كان دفاعا عن النفس. (انظر صحيفة الصندي تايمز اللندية الصادرة يوم الأحد ١٨/ ٧/ ١٩٩٣).

(٢٧) سيد سابق: **فقه السنة**، ج ٢ ، لبنان: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧، ص ٣٥٨ - ٣٨٢ (حد الزنا) وكذلك ص ٤١٦ - ٤٣٥ (حد الحرابة).

(٢٨) ينبغي أن أوضح هنا أن السيد آلان بيز مؤلف كتاب «لغة الجسد» والذي اقتبست منه الأشكال المستخدمة في البحث، قد أورد تلك الأشكال في سياق آخر حيث كان يتحدث عن سلوك رجل المدينة وطريقته في إبقاء المسافة بينه وبين محدثه.

شكر

يود الكاتب أن يشكر مديرة مركز الكمبيوتر في كلية الطب، جامعة الكويت والفنيين العاملين في هذا المركز وخاصة السيد / شارما وذلك لسماحهم له باستخدام برنامج SPSS, Version v5,4-2 الذي يعمل على جهاز - Vax / Vms 6510. وقد قام الكاتب بإدخال البيانات وإجراء العمليات الحاسوبية بنفسه وساعده الفني في استخراج النسب المئوية، كما يود الكاتب أن يشكر الدكتور/ محمد رجب النجار والدكتور/ صديق عبدالعظيم اللذين ناقش الكاتب معهما بعض الجوانب الجزئية في البحث فزوداه بتعليقات مفيدة. وطبيعي أن الكاتب وحده يعد مسئولا عما ورد في البحث من آراء أو عما قد يشوبه من تقصير.

* * *

اقرأ
في العدد القادم

● بعض المحددات الاجتماعية والاقتصادية لمستوى الخصوبة في الأسرة السعودية بمدينة الرياض
د. إبراهيم محمد العبيدي

● الممرات الجبلية البيزنطية (KLEISURA) في آسيا الصغرى: دراسة تاريخية (٦٣٨ - ٩٥٠م)
د.هاشم إسماعيل الجاسم